

الإسلام دين الوحدة

الإسلام دين الوحدة

الدكتور المكاشفى طه الكباشى من السودان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الفائل في محكم التنزيل واعتزص بهم يا رب العالمين اللهم جامعنا ولام تفترق قوماً وادرك روا

ن عَمَّةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ

بِنِعْمَةِ رَبِّكُمْ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ

يُبَدِّلُنَّ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١) والصلوة والسلام على إمام المتّقين وقائد

الغرّ المحجّلين وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

في البدء... الشكر والتقدير والاحترام والتبرير للإخوة القائمين على المجمع العالمي للتقرير بين المذاهب

الإسلامية، وعلى رأسهم الشيخ واعظ زاده الأمين العام وأركان المجمع من المعاونين والمساعدين الذين سهلوا على

إخراج هذا المؤتمر بهذا الثوب القشيب الجميل.

أيّها الإخوة الكرام، أيّتها الأخوات الفُضَّلَيات:

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

يجيء انعقاد هذا المؤتمر الكبير في مناسبة جليلة ونفحة عظيمة حبّيبة إلى النفوس، وهي ميلاد خير البرية ورسوله الإنسانية سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث يحتفل المسلمون في

1 - سورة آل عمران: 103.

-(272)-

مشارق الأرض ومغاربها بموالده صلى الله عليه وآله وسلم فكان مولده صلى الله عليه وآلله وسلم بشارة وإيداناً^١
با نبئاق النّور والهدى بِـا أَهْلَ الْكِتَابِ فقد جاءكم رسولنا يُبَدِّي لـكُمْ كـثـيرًا مـمـما
كـنـتـمْ تـخـفـونـ مـنـ الـكـتـابـ وـيـعـفـوـ عـنـ كـثـيرـ فقد جـاءـكـمـ مـنـ اللـهـ نـورـ وـكـتـابـ
مـمـبـينـ(١).

فـكـانتـ دـعـوـةـ إـسـلـامـ وـرـسـالـتـهـ التـيـ أـخـرـجـتـ النـاسـ مـنـ دـيـاجـيرـ الـطـلـمـ وـالـشـرـكـ وـالـطـغـيـانـ إـلـىـ نـورـ إـسـلـامـ وـعـدـلـهـ.

كان الإسلام ثورة ضد الطواغيت والظلم والاستكبار، ونصرة للمستضعفين والمظلومين والمحروميين في العالم.

يجيء مؤتمرنا هذا في طروف صعبة للغاية ومعقدة، ومجتمع الإسلام في تمزق وشتات وضعف وهوان... ويراق الدم
الحرام، وتهتك الأعراض وتغتصب المسلمين أخوات نُسيبة، وتُبَيَّد أُمّةً بأكملها في البوسنة والهرسك على يد
المعتدين من الصرب والكروات، بمساعدة وتشجيع ومبركة الشيطان الأكبر عدو الإسلام والمسلمين أمريكا.

وفي الصومال المسلم يُذَل شعب ويهاج، وتطأ أقدام الأميركيان النجسة أرض مقديسة المسلمين الطاهرة في أقبح بربرية
وهمجيّة يشهدها عالم اليوم.

وفي فلسطين حيث القدس قبلة المسلمين الأولى يصول ويحول الصهاينة يقتلون أطفال ثورة الحجارة تحت هيمونه وحماء الاستكبار العالمي وفي ظل الأحاديّة القطبية التي تريد أن تنفرد بالعالم بعد سقوط المعسكر الشرقي وانهيار الشيوعيّة.

أيّها الإخوة الكرام:

يجيء مؤتمرنا هذا ويسعّ نور الإسلام في العالم ويشهد عالم اليوم صحوة إسلامية كبرى لتطبيق أحكام الشع العنيف، وظهرت ثمار هذه الصحوة بإقامة دولة الإسلام في إيران الثورة، وفي السودان قلب إفريقيا النابض، حيث دولة الإسلام الشاملة لكلّ جوانب الحياة في السياسة والاقتصاد والمجتمع والتربيّة والثقافة.

1 - سورة المائدة: 15.

-(273)-

إنّ القادر الجديد في إيران والسودان يمثل حضارة الأُمم الإسلامية بأكملها، ويقدم نموذجاً حيّاً واقعياً لشمولية أحكام الإسلام: لجوانب الحياة كافة فلا يفصل الدين عن الدولة ولا يفصل الدولة عن الدين؛ فالإسلام دين ودولة وسيف ومصحف.

إنّ القادر الجديد، وهو الذي أزعج دولة الاستكبار العالمي الشيطان الأكبر:

أمريكا الكفر العالمي؛ لأنّ حضارتها هشّة ونظامها ضعيف فاقتاصادها قائم على الرأسمالية حيث الظلم والاحتياط والربا وأكل المال بالباطل وامتصاص دماء الآخرين واستعبادهم واسترقاقهم وسلب عرق جبينهم، نظامها السياسي هشّ وضعيف وهو قائم على ثوابت وقواعد تندم فيها المساواة والحرية والعدالة ويكتفي عندهم اضطهاد السود وكتم أنفاسهم وعدّهم مواطنين من الدّرجة الثانية، وأمّا نظامها الاجتماعي فحدث عنه ولا حرج، حيث الفساد وتفكّك الأسر والانحلال والطاعون العصري: الأيدز.

فالنظام العالمي المثالي الجديد والقائم على العقيدة حيث السياسة فيه عبادة والاقتصاد عبادة، وهو قائم على ثوابت صحيحة وسليمة من العدل والمساواة والشورى والحرية.

ولهذا تحوّف الاستكبار العالمي من هذا القادر الجديد، فناصب الثورة الإسلامية في إيران العداء، وجعلها في مقدمة القائمة السوداء المساندة للإرهاب في العالم.

وألحق مؤخراً ثورة الإسلام في السودان بهذه القائمة بعد أن فرض حصاره الاقتصادي فلم تنجي الثورة ولم تخضع لهذا الشيطان الأكبر، فاكتفى السودان - والحمد لله - ذاتياً من القمح الذي تُجْوِع به أمريكا دول العالم الثالث، وأشار هنا - أيها الإخوة الكرام - إلى أنَّ أهل السودان خرجن في مسيرة مليونية تقدمها أخوات نسيبة وهي تلعن الاستكبار وهي تلعن الاستكبار العالمي وتلعن أمريكا وتقول لها، لا، وتقول لклиينتون «يا كلينتون يا جبان، الشعب السوداني المسلم في الميدان».

— (274) —

أيّها الإخوة:

إنَّ الهجمة الاستعمارية الاستكبارية الشرسة على ثورات الإسلام ينبغي أن تكون دافعاً للوحدة والترابط والتعاون والتناصر.

فالوحدة والاعتصام أمر من الدين أوجبه الله تعالى فهو عبادة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواٰ وَإذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءٍ فَأَلْهَمَهُمْ بَيْنَنَ قُلْتُ وَبِكُمْ فَأَمَّصَبْتُهُمْ بَيْنَعْمَاتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَّا حُفْرَةٍ مَّنْ الذَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (1).

فمقومات الوحدة وأركانها كلّها متوفّرة من حيث إنَّ القبلة واحدة والهدف واحد وكلّنا لآدم وآدم من تراب، إنَّ ربّكم واحد وإنَّ أباكم واحد، كلّكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتفوي
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِيلَ لِتَدْعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ خَلِيفٌ﴾ (2).

ولم يكن شعار الوحدة أو المساواة شعراً أجوف، بل التاريخ الإسلامي يحدّثنا بواقعيته وتطبيقه فقد عاش المسلمون في وحدة اندماجية كاملة وصار المسلم يتحرّك من أرض إلى أخرى ومن بقعة إلى أخرى دون عواائق وحواجز،

وحواره «لَا إِلَهَ إِلَّا مُحَمَّدٌ رَسُولُهُ» لم تكن هنالك حدود، ولم تكن هنالك فوامل، فالحدود والفوائل من صنع الاستعمار والاستكبار قديماً وحديثاً. وشهدت البشرية أعظم وحدة اندماجيةً ومساواة حقيقية كاملة في عصر الإسلام الذي دون تفرقة بسبب اللون أو الجنس أو المذهب؛ فيها هو سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي يقفون جنباً إلى جنب مع كبار المهاجرين والأنصار مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وسعه بن عبادة - رضي الله عنهم - كلّ منهم من الآخر وللآخر، وجاء منه لا يتجزأ ويتناسقون على سلمان إلى أن يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «سلمان من آل البيت».

هذا ويرغب الإسلام في الوحدة ويحملها ويدعوها لها ويمهد لها الطريق

1 - سورة آل عمران: 103.

2 - سورة الحجرات: 13.

-(275)-

والسبيل ويعلق كل النوافذ التي تؤدي إلى انهيارها أو تصدّعها؛ فيذكرنا الله تعالى بأنّنا إخوة في العقيدة والإيمان إذ يقول الله تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَمَا مَنَّا بِأَيْنَنَا أَخْوَيْكُمْ وَإِنَّمَا قُوَّا
اللَّهُمَّ لَا يَعْلَمُ كُمْ تُرْحَمُونَ (1).

ويخبرنا الصادق الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأنّنا جسد واحد وجسم واحد إذا اشتكتى منه عضو
نداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ويقول أيضاً صلى الله عليه وآله وسلم «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه ببعض».

إن العصبيات أيّاً كان شكلها عرقية أو مذهبية من عوامل هدم الوحدة، ولقد نهى الإسلام عنها إذ يقول الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس منا من دعا إلى عصبيةٍ وليس منا من مات في عصبيةٍ».

ولهذا فإن الوحدة حينما تتم، يتم التقارب بين المذاهب وتتلاشى العصبيات.

وقد نهى الإسلام عن دواعي العصبية ومحركاتها لأنّها تؤدي إلى التفكك والتمزق والتشتت.

والإسلام - أيّها الإخوة - قد أغلق وسد كل النوافذ التي تؤدي إلى التفرقة والشتات، فنهى عن سفك دم المسلم وهتك عرضه وسلب أمواله «كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ دمه وماليه وعرضه».

وجاء الإسلام بآداب عامّة وأخلاق جامعة ك تمام ل الواحدة؛ فنهى عن سخرية المسلم والاستهزاء به والتنا باز بالألقاب وسوء الظن والتّجسّس والغيبة، والنّصوص في كتاب الله وسُنّة رسوله كثيرة.

ومن آداب الإسلام العامّة في أخلاقيات الوحدة: أنّه قد نهى عن سُباب المسلم وهرجه ومخاومته، بل حتّى الإسلام على التعاون وعلى نصرة المسلم أينما وجد، وعلى

1 - الحجرات: 10

-(276)-

سد حاجته، فيقول تعالى: **إِنَّمَا أَيْمُونَهَا إِلَّا ذِيَّنَ آمَدُوا لَا تُحِلُّ لَهُوا شَعَّا ئِرَّةَ اللَّاهِ وَلَا الشَّهْرُ مِنَ الْحَرَامِ وَلَا الْهِدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَدَغُونَ فَهَذِهِ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَضْوَانُهَا وَإِذَا حَلَّتِ الْمُتُّمُ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجِرْ مَنْدَكُمْ شَدَّانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالْتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُودِ وَأَنْ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(1).**

ولهذا نجد أنّ الإسلام، لأجل تمكين الوحدة وتقويتها جاءت النّصوص في السُّنّة موضحة حقّ المسلم على المسلم «ليس من مدّا من يبيت شبعاناً وجاره جوعان» و«ليس من مدّا من يشبع وجاره جائع».

وحثّ الإسلام، في سبيل تمكين الوحدة وتقويتها على فضل الظهور «فمن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له... ومن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له».

إنّ من هوان الأُمّة وضعفها وجود التمزق والتشتت فيها، ولقد وجد الاستكبار فرصته في تمزق الأُمّة فأذلّ الجميع وأهانهم، ولهذا فإنّ الوحدة تعتبر اليوم من ضروريات الدين وواجباته. كي نستطيع أن نواجه هذا الخطر الكبير وذلك العدوّ اللّادود: أمريكا والغرب.

فالوحدة - أيّها الإخوة الكرام - لا تتمّ بالأحساس والعواطف وحدها بل لابدّ من وحدة الدول، وهذا لا يتمّ إلاّ إذا اتجّهت هذه الدول نحو ربّها وحالها وقامت بتطبيق المنهج الرّباني لأنّ الدّين اليوم قائم في الواقع الحياة، فمذمّا من يطبق قوانين الاستعمار، ومنذّا من يطبق قوانين الكفر العالمي، فإنّ من أولويّات الوحدة العودة إلى رحاب الدين، العودة إلى منهج الله سبحانه وتعالى والعودة إلى المنهج الرّباني، لأنّ بالعودة إلى المنهج الرّباني وتطبيقه في الواقع الحياة تكون قد وضعنا اللّادونَة الأساسية للوحدة في العالم، وبوحدة الدول تتمّ وحدة الشعوب.

وقد لاح أفق الوحدة - والحمد لله - وكانت هنالك نواة الوحدة حينما قام

1 - سورة المائدة: 2

-(277)-

المشروع الإسلامي في إيران الثورة، وحينما قام المشروع الإسلامي في Sudan الثورة الإسلامية، ولذلك نحن قد سلّكنا الطريق الصحيح بقيام المنهج الرّباني، لأنّ هجوم الاستكبار العالمي وإرها به ينبغي أن يكون دافعاً للعودة إلى الدين وأن يكون دافعاً لقيام الوحدة الإسلامية ونحن نريدها أن تكون وحدة لأزمه بتطبيق المنهج الرباني تزول المذهبية وتزول كلّ التفرقة بسبب المذهب، فمن أولويّات التقرّب العودة إلى رحاب الدين وبذلك تزول كلّ العصبيّات.

وأنا أقول للأخ الدكتور العلوى: إنّه بالعودة إلى المنهج الرباني يبدأ تبني الفقه الإسلامي؛ ولقد بدأنا هذه التجربة في السودان وطبّقناها عملياً، حيث قدّمنا الفقه الإسلامي في الجنسيات، وفي المعاملات وفي الأحوال الشخصية، وفي الاقتصاد، وفي السياسة، وقد استفدنا كثيراً من التجربة الإسلامية في إيران، لأنّها هي أول من وضع نواة العمل الإسلامي، ونواة العودة إلى الإسلام، حيث وضعت الدستور الإسلامي والنظام السياسي الإسلامي والمصارف الإسلامية وإزالة الربا والغبن والظلم من كلّ المعاملات. فإذا: بالتقنيين - نحن في السودان - لم نلتزم مذهبًا

معيّناً، بل أخذنا من الثروة الفقهية العظيمة عند المذاهب الفقهية كلّها، من الشيعة الجعفريّة ومن الطاهريّة، ومن مذهب الإمام أحمد وغيرها من المذاهب؛ لأنّنا نريد أن نقدّم نظاماً عصرياً يلبي الحاجات العصرية، فنأخذ من المجتهد في الفقه الشيعي، ونأخذ من المجتهد في الفقه المالكي، لأنّنا نريد أن نحلّ مشكلات الحياة ومعضلاتها، ولعل المذهب الواحد لا يكفي، وبذلك زالت العصبية وتم التقارب بين المذاهب.

أيّها الإخوة الكرام:

إذننا نرى تبشير عودة الدين إلى الحياة وعودة المنهج الرباني، ومن ثمّ سوف نواجه الاستكبار العالمي بحصار إسلامي وبنظام نموذجي مثالي للإنسانية كلّها، وسنرى

—(278)—

بإذن الله مصرع الحضارة الغربية، ونرى مصرع فرعون وها مان وكلينتون وأعواهم باذن الله تعالى.

يقول الله تعالى: [وَنُرِيدُ أَن نَّمُنْ عَلَى الْأَذْرِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \$ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ] (١) صدق الله العلي العظيم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.